

اسهامات القضاة العراقيين في الحياة الاجتماعية في مصر من خلال كتاب رفع الاصر

عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني

الكلمات المفتاحية : القضاة ، مصر ، لابن حجر العسقلاني

البحث مستل من اطروحة دكتوراه

١٠٠١ احمد مطر العبيدي

حسام قاسم محمد

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

المديرية العامة لتربية ديالى

Ahmedmotar555@gmail.com

husamkasem555@gmail.com

الملخص

حظيت الدراسة عن مصر اهتمام العلماء والباحثين عناية خاصة ، وخاصة في الدراسة عن الحياة الاجتماعية ، وانها من الموضوعات التي اولاها القدماء و المحدثون اهمية كبيرة ، فظهرت الكثير من الكتب التي تناولت هذه الدراسة وكان من بين هذه الكتب كتاب (رفع الاصر عن قضاة مصر) والذي تناول القضاة في مصر ، واننا في دراستنا تناولنا اثر هؤلاء القضاة في مصر في الجانب الاجتماعي ، بالاضافة الى تناول جوانب اخرى لها علاقة بالحياة العامة في مصر .

المقدمة

أولت الدراسات التاريخية للحياة الاجتماعية اهمية كبيرة، من اجل التعرف على الحياة الاجتماعية في هذا البلد ، فإننا ومن خلال الدراسة حاولنا ان نعطي صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية ، بالإضافة الى دور القضاة العراقيين والأثر الذي تركوه أثناء توليتهم في مصر وخاصة في الجانب الاجتماعي ، إن دراسة القضاة الذين تم توليتهم في مصر كانت من كتاب رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني ، وقد حاولنا ان نبرز الاثر الاجتماعي الذي تركه هؤلاء القضاة في الحياة الاجتماعية في مصر ، وقد قسمنا البحث الى مواضيع لها صلة بالحياة الاجتماعية .

الاسهامات في الحياة الاجتماعية

فتح العرب المسلمون لمصر وكان اميرهم الصحابي الجليل عمر بن العاص رضي الله عنه سنة (هـ) ، تحولت الحياة الاجتماعية في مصر تحولا كبيرا ، فقد تحولت مصر من دولة مسيحية يحكمها الرومان إلى دولة إسلامية يحكمها العرب

، من دولة تتحدث اللغة القبطية إلى دولة تتحدث اللغة العربية ، وبدأت أعداد العرب تزداد فى مصر من شبه الجزيرة العربية مع دخول الآلاف من أهل مصر إلى الدين الإسلامي وقد حدث هذا تدريجيا. (١)

كذلك بدأت الحياة الاجتماعية تصطبغ بصفة إسلامية فى مظاهر الحياة الاجتماعية من مناسبات وأعياد ، بل أيضا الملابس والمظاهر الاجتماعية عبر العصور الإسلامية المختلفة. وقد حافظ المسلمون للمصريين أعيادهم الاجتماعية مثل عيد شم النسيم وعيد الفيزان وغيرها من الأعياد المصرية القديمة، وأضافوا إليها العديد من الأعياد الإسلامية مثل الهجرة النبوية الشريفة والمولد النبوى الشريف وصيام رمضان ومباهجه وعيد الأضحى وعيد الفطر وغيرها وكانت أعياد مشتركة بين المسلمين والمسيحيين وأعياد أخرى خاصة لكل منهما وكان كل طرف يحافظ على مشاعر واحترام أعياد الطرف الأخر (٢)

قد اشتهرت بعض العصور الإسلامية بمظاهر خاصة مثل البذخ والترف والآبهة سواء قصور الأمراء والحكام من حيث الأبنية والأثاث ومظاهر الموكب فى أعياد والاحتفالات وكذلك الاهتمام بالموسيقى والغناء وعقد المجالس والندوات فى القصور، وفى خلال عصور إسلامية أخرى نجد أن الحياة الاجتماعية تقل مظاهر الترف والبذخ كما حدث خلال العصور القليوبى الذى عاصر حروب الصليبية وسواء حالة الحرب والجهاد أو التقشف التى فرضتها حالة الحرب ، وطوال العصور الإسلامية حافظ شعب مصر على خصائص الحياة الاجتماعية رغم ما تعرضت فيه مصر لتغيرات سياسية واقتصادية وعسكرية وتوافد العديد من الحملات العسكرية أو الانقلابات العسكرية كبيرة مثل دخول العرب المسلمين أو أفراد ابن طولون واقلاله عن العباسيين أو تولى أمور مصر القليوبيين وودخول الفاطميين لمصر أو تولى المماليك الجراكسة والبحرية أمور البلاد، إلا أن الحياة الاجتماعية فى مصر الإسلامية ظلت على وتيرة ، تنعم فيها بخصائصها الخاصة بغض النظر عن هذه التغيرات الكبيرة (٣).

ومن هنا فانا سوف نتحدث عن طبقة اجتماعية لها تأثيرها الواضح فى أي مجتمع وهم القضاة الذين يمثلون محور نظام الحكم والمظهر العملي الازم والحازم

لإلزام الناس بأحكام الشريعة وإعلان هيبته على كافة الأصعدة ومنها الاجتماعية وكذلك لاحقاق الحقوق وإبطال الباطل وإبراز العدل والإنصاف^(٤)، وقد مثلت هذه الطبقة الاجتماعية دورا بارزا في تسيير الحياة الاجتماعية في المجتمع المصري وكان العراقيين الذين هاجروا الى مصر او تبوؤا المناصب الادارية جاءوا من العراق وهو يختلف عن المجتمع المصري في التقاليد والعادات ،على الرغم من القواسم المشتركة التي تجمعهم مثل اللغة والدين ، فان العراقيين الذين تولوا القضاء كان عليهم ان يتكيفوا في هذا المجتمع الجديد بل ان بعضهم اوطن في مصر حتى توفي بها^(٥) .

اننا في هذا الدراسة سوف يكون مسار دراستنا على حسب المادة التاريخية التي وجدناها في تراجم القضاة وسوف تكون على مواضيع ذات صبغة اجتماعية وكانت على النحو الآتي :

اللبسة: - تمثل صناعة الملابس في مصر من الصناعات المهمة اذ شكلت مصدرا مهما للصناعات النسيجية بكافة اشكالها الصوفية والكتانية والحريز حتى اصبحت هذه الملابس تتبع الى المناطق التي صنعت فيها^(٦)، اما الاسواق فتتوزعت الاسواق التي تبيع الملابس والاقمشة حتى تخصصت كل سوق بنوع من الملابس^(٧)، وقد اخدمت الملابس في مصر في بعض الاحيان للزينة وللتاثير في الآخرين، وكذلك للدلالة على الحياة الاجتماعية للأفراد وامتازت كل فئة بلبسة خاصة بها من حيث الوانها وطريقة خياطتها ولبسها^(٨)، وفي الحديث عن القضاة العراقيين في مصر ، فان القاضي اسماعيل بن اليسع^(٩) قد بينت لنا المصادر التاريخية ان لهذا القاضي لبسه الخاص في الاوقات المعينة وخاصة في اوقات العبادة وهو ما ذكره لنا يحيى بن بكير كان فقيها مأمونا، وكان يصلي بنا الجمع، وعليه كساء مربع من قطن، وقلنسوة من خز^(١٠)، ودلت هذه الرواية على زي معين كان يخدمه القضاة اثناء تأدية الصلاة مما ادى الى لفت انتباه الناس ومنهم الراوي الى هذا الملبس، اما القاضي بكار بن قتيبة رحمه الله فانه لم يكن يبالي في ملبسه والى هذا نوه به بعض الرواة ان بكار كان في غاية من التعفف، واتفق انه دخل عليه مجموعة من امائه وهو مخترق الثياب،^(١١)وقد بينت لنا هذه الرواية ان

القاضي بكار بن قتيبة^(١٢) قد اختلف عن القاضي اسماعيل بن اليسع من حيث الاهتمام بالملبس ومن هنا فان القضاة السابقين ربما لم يكن لهم أي دور في هذا الجانب اما القاضي عبد الله بن احمد بن شعيب ،فانا نرى ومن خلال ما ذكرته لنا المصادر التاريخية كان له اهتمام واسع لهذا الجانب من خلال الاظهار دور القاضي بمظهر الجيد والاناقة في ملبسه ويرجع ذلك الى انه كان من عائلة لها الاهتمام بالخياطة والنسيج^(١٣)، وكان ذلك في ملبسه لنوابه ومنهم أحمد بن محمد بن عثيب الداودي^(١٤)، وكان بزى الجند، لكنه يلازم الاشتغال بالعلم. فألبسه ابن وليد الطيلسان والقلنسوة. وأجلسه ينظر بين الناس، وكان من أهل العلم والفهم^(١٥)، وتبين لنا هذه الرواية ان للقضاة في هذه الحقبة زيهم الخاص الذي يميزهم عن غيرهم ،اما القاضي يوسف بن الحسن فكانت له اهتمام واضح لهذا الجانب فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية ان للقاضي يوسف بن الحسن فانه كان كثير التجميل في مجلسه وملبسه ومركبه بحيث يضاهي بذلك الوزراء والامراء^(١٦)، ومن خلال ما تم ذكره فانا نرى ان ما قاموا به في زيهم وملبسهم كان له تأثيرا واضحا واطهر القضاة في بعض الاحيان بمظر القوي وصاحب الدولة وهذا بالتأكيد كانت له تأثيره الواضح على المجتمع المصري من خلال ما ذكرته بعض الروايات التاريخية ان زي وملبس بعض القضاة كان يلفت انتباه بعض الناس^(١٧)

الزواج: - يعد الزواج من من اهم المظاهر الاجتماعية في كل مجتمع والمصري بالخصوص فهو الاساس في تكوين الاسرة والمحافظة على امرائتها^(١٨)، وحمائتها من الرذائل والفواحش ويمر الزواج بمراحل تحكمها العادات والتقاليد المتعارف عليها في كل مجتمع وخاصة المجتمع المصري وقد اثرت في الزواج عدة عوامل منها البيئة والعامل الاقتصادي والاجتماعي وكان ذلك في مختلف العصور الاسلامية التي مرت على مصر.

اما ما كان للعراقيين من تأثير واسهام في باب الزواج او النكاح فقد يتضح ذلك من خلال بعض الاحكام النكاح التي كان يصدرها القاضي والتي كان لها تأثيرها على المجتمع المصري بصورة خاصة ، ومن الامثلة على ما ذكرناه ما حدث للقاضي عبد الله بن احمد بن شعيب عمرو بن الحارث بن مسكين تزوج بكرة

فكرهته، فشكوا ذلك لابن وليد فقال: هل كان أبوها أذنها عند العقد، قالوا: لا، فقال: هذا النكاح باطل، فبلغ ذلك ابن الحداد فشنع عليه، ودار عمرو بن الإريث على الفقهاء، فأخذ خطوط الشافعية والمالكية بصحة العقد، وصنف ابن الحداد في ذلك جزءاً، فبلغ ذلك ابن وليد، فخشي من اجتماع كلمة الفقهاء على فساد ما قال، فاعان بابي الذكر، فقال له: قد قيل لي أنك قلت: إن النكاح عندي باطل، وأنت قاض، فاحكم بنفسك، فبادر إلى ذلك، وحكم وسجل عند العضمة، وأشهد بذلك عدداً من الناس، وكانوا قد باتوا على أن يجتمعوا عند الإخشيد فأصبحوا وانعقد المجلس، فسألهم الإخشيد عن صورة المسألة، فبادر ابن الحداد فقال: العقد صحيح، وتابعه كل من حضر المجلس، إلى أن بقي أبو الذكر فقلاً: صدقوا، النكاح صحيح، إلا إن كان القاضي حكم بفسخه فلا ينقض حكمه، فالتفت الإخشيد إلى ابن وليد فقال، أفسخته؟ قال: نعم، فقال للفقهاء: ما تقولون، قالوا إذا فسخه فقد بطل، فقال ابن الحداد: هذا من عمل الأسواني يعني أبا الذكر، فهو الذي تولى كبره الله سائله عن ذلك، فتناول ابن وليد أبا بكر بن الحداد، وانقضى المجلس وانتصر ابن وليد، فقال الإخشيد للحسن بن طاهر الحسيني: لقد هممت أن أمر الغلمان أن يأخذوا عمائمهم وقلانسهم، فبلغ ذلك عبد الله بن وليد، فخاف وركب إلى ابن الحداد فترضاه^(١٩).

وفي هذه الرواية تبين لنا عمل القاضي في باب النكاح وكيف كان الخلاف بينه وبين الفقهاء وكانت النتيجة كما أخبرنا ابن حجر هي انتصار القاضي عندما عرضت القضية على الوالي وما هو التأثير الاجتماعي الذي تركته هذه القضية ، اما القاضي محمد بن عبد الله الميروداني والذي ولاه الوزير رضوان^(٢٠)، عقود الانكحة وما يتعلق بذلك^(٢١)، وكان القاضي انتحل المذهب الحنفي وكان ابي حنيفة رحمه الله فقهه الخاص في عقود الانكحة^(٢٢) ، لقد عرف المصريون الفقه الحنفي منذ ان ولي القاضي اسماعيل بن اليسع الذي يعد اول من ادخل عليهم المذهب الحنفي وعرفهم به، وبذلك رأينا ان المصريين لم يطبقوا هذا المذهب في مسائل عدة ومنها ابطال الاحباس الذي كان يذهب اليه الاحناف ، اما القاضي عبد الملك بن عيسى بن درياس فقد كانت له بعض المواقف الاجتماعية ،ومن هذه الاحداث هو

ما دار بينه وبين نائبه علي بن يوسف ابد في كثير من الامور خارج صلاحياته وكان ذلك في عقد الامرأة المملوكة عند سيدها فشهد عليها أنها أذنت له في تزويجها بعد الإشهاد على سيدها بعقدها القاضي، فقال له ابن يوسف (قد كانت أذنت لي بعقد نكاحها قبل هذا الإذن)، فأجيب بأن العقد لا يصح قبل صحة العتق، فأخرق القاضي بالشهود الذين شهدوا لابن يوسف بالإذن الأول، فتعصب الأتراك لابن يوسف، ورفعوا الأمر للسلطان، ورموا القاضي بأنه يسلك مع ابن يوسف حظ نفسه بغير حجة فغضب السلطان، وبعث السري إلى القاضي يعتبه على ذلك^(٢٣)، وكانت هذه من اهم الذرائع التي شنع بها ابن يوسف نائب ابن درياس ضد القاضي والتي انتهت الى السلطان وبذلك وبعد ان جمع ابن يوسف الشهود وكانت حجته اقوى عند السلطان تم عزل ابن درياس في عهد العزيز^(٢٤)، ومن هنا كان لهذه القضية اثرها الاجتماعي وما مدى تفاعل القاضي مع مثل هذه القضايا.

المواريث:- لقد وضعت الشريعة الاسلامية نظام المواريث على احسن النظم المالية واحكمها واعداها، فقررت ملكية الانسان نكرا كان ام انثى بالطرق الشرعية ، فاننتقال ملكية ما يتركه الشخص من امواله وحقوقه الى ورثته يخضع في الاسلام لنظام التركة والمواريث ،ومن هنا تحتل احكام التركة والمواريث في الشريعة الاسلامية مكانة مهمة ،لأنها موازين الحقوق وقد اهتم الاسلام بالمواريث لانها تمثل علما قائما بذاته ومتعلقا بحقوق الانسان وكذلك فيه معالجة اجتماعية وانهاء الخصومات التي قد تترتب على ذلك بعد وفاة الموروث وعلى هذا فقد اخذت دراسة المواريث باعتبارها حالة دينية واجتماعية اهتمام الباحثين والعلماء ومن هنا ولاهمية الموضوع اوكلت الدولة الاسلامية ادارة المواريث الى القضاة وفي الحديث عن تاريخ مصر نرى الاثر الواضح الذي تركه القضاة العراقيين في هذا المجال ،ومن اهم هؤلاء القضاة هو القاضي احمد بن عبد الرحيم بن حماد البصري^(٢٥)، وقد ذكر لنا ابن حجر ان من جملة الامور التي نظر فيها ابن حماد هي المواريث^(٢٦)، وذكر ابن زولاق فقال : وجرت في ولاية ابي ع حوادث ومنها انه ورد عليه كتاب من بغداد بتوريث ذوي الارحام^(٢٧)، وذوي الارحام أي الذين ليس لهم نصيب

او فرض^(٢٨)، وهي من المسائل المختلف فيها بين المذاهب الاسلامية ومن هنا فان هذه الرواية تؤكد لنا ان القاضي في مصر في هذه الحقبة كان يتبع القاضي في بغداد وخير دليل على ذلك هو توجيه الكتب والتعليمات من بغداد الى القضاة في مصر .

اما القاضي محمد بن عبدة فكذلك تم تكليفه لادارة هذا الملف من قبل ابي الجيش وكان ابي الجيش (٢٩) يجلب القاضي محمد بن عبدة ويعظمه وقد فوض اليه مع القضاء النظر في المظالم والمواريث والاحباس والحسبة^(٣٠)، كان القاضي محمد بن عبدة يحمل علما وقد اخذ الفقه عن كبار العلماء العراق في ذلك الزمان وخاصة في الفقه الحنفي ولذلك كان هو من الاحناف^(٣١) .

الغناء:- يعد الغناء من اهم انواع التسلية والرياضة النفسية التي اقبل عليها المجتمع المصري والتي وصفها الثعالبي^(٣٢)، بانها احدى لذات الدنيا ال^(٣٣)، وقد انتشرت الاغاني في مصر في اماكن مخصصة ومنها شاطئ النيل^(٣٤) وبر الخليج^(٣٥)، الذي اشتهر بكثرة المناظر الجميلة مما جعل المغنين يتخذونه مكانا للغناء والطرب^(٣٦)، ولما كان للشعر من دور بارز في الحياة العامة لمصر فقد اهتم به الفاطميين وبنو ايوب والمماليك وذلك لما له من اثر في الدعاية للسلطين وظهار كرمهم بين طوائف المجتمع المصري^(٣٧)، وكذلك عرف الغناء الديني حيث كانوا يمدحون النبي صلى الله عليه وسلم والاولياء والصالحين^(٣٨)، وبهذا فقد كان للقضاة الفهم والفقه الخاص للغناء ونرى ذلك فيما اتخذه القاضي محمد بن مسروق كان عبد الله بن محمد بن حكيم من أشرف الموالى ومن سراتهم وذوي الجاه، وكان مقبولا عن غوث والمفضل وغيرهما من القضاة، فشهد عند محمد بن مسروق فأوقفه فقال له: لم أوقفك شهادتي. فقال: شهد عندي رجلان أنك طربت على غناء جارية عمرو بن يسار^(٣٩) وهي تغني:

ولما التقينا عند أسفل واضم ... وأيقن قلبي أنها أم جعفر

أنتني تزيها الصبا منذ نسمت ... أفانين من مسك ذكي وعنبر

قال: صدقا أصلحك الله امرأته الطلاق إن كان غنى بذلك غير امرأته وهي الطلاق إن لم تكن كنيته أم جعفر. فقال ابن مسروق: فإنهما شهدا عندي أيضا أنك طربت و صفتك بيديك حين غنت:

يوم اللوى أبكاك نوح حمامة ... هتوف الضحى بالنوح ظلت تفجع

فادري ولا نبكي وتبكي وما درت ... بعولتها عند البكى كيف تصنع^(٤٠)

فقال: صدقا أصلحك الله ولم أدر إلا الخير. قال: فإننا لا نقبل شهادة من فيه هذه الأريحية عند السماع فإن السماع ليثمل كما يثمل الشراب، انصرف راشدا. فقال: السلام عليك، فلما ولي العمري بعث إليه يقول: أخبرني ما قال لك ذاك الجافي. فأخبره فقال له العمري: نحن نقبل شهادتك، قال بعض من سمع هذه القصة: ليس بالجافي من حفظ تلك الأبيات^(٤١)، وبهذا تبين لنا ان من كان له صلة من قريب او بعيد بالغناء لم تقبل له شهادة عند القضاة وخاصة القاضي محمد بن مسروق وكما قلنا فان القضاة كان لهم فقههم الخاص في الغناء، ومن هنا فانه كانت لهم احكامهم واضحة بهذا الخصوص ومنا تحريم السماع لانه تخبث القلوب .

الطلاق:- عد الطلاق وهو حل عقد الزواج بين الزوجين، ومن اهم الاسباب المؤدية الى الطلاق هو عدم التكافؤ بين الزوجين، كالفارق بين الزوجين في السن الذي يجعل عدم التفاهم واضحا في حياتهم فيصعب على كل من الزوجين فهم الاخر او عدم القناعة في الزوجة لوجود لسبب او وجود عيب في الشكل او في الخلق^(٤٢)، او غيرها من اسباب الطلاق او يكون ليس لسبب بل هي عادة وجدت على لسان بعض الرجال وكان من نتائجها هي خراب البيوت وعلى هذا يعتبر الطلاق من المظاهر الاجتماعية التي ظهرت في المجتمعات كافة، ومنها المجتمع المصري وعلى هذا فقد كان للقضاة العراقيين في مصر دورا بارزا في هذا المجال وهو حل عقد النكاح ومن ثم اصدار الاحكام التي ترتب على اثرها الفراق بين الزوجين، ومن خلال البحث في المصادر التاريخية فقد رأينا ان الطلاق بني على المذهب الرسمي للدولة الاخشيدية ، الى قدوم الفاطميين وكان القاضي محمد بن احمد الذهلي من الذين تولوا القضاء في العصر الاخشيدي وفي العصر الفاطمي

كذلك تم توليته القضاء وكان ذلك عي عهد جوهر الصقلي الذي الزمه ان ان يحكم في في المواريث بقول اهل البيت وفي الطلاق وفي الهلال^(٤٣) ، وهكذا اجريت الاحكام في هذ العصر على هذا النحو .

رؤية الهلال:- تعتبر رؤية الهلال من العادات الاجتماعية التي اعتاد عليها المجتمع المصري في رؤية هلال شهر رمضان المبارك وباقي الاشهر الاخرى وجرت البلاد المصرية على هذا النحو على مر الحقب الاسلامية التي مرت بها وعندما يرى الهلال فان ذلك ايذانا ببدء الشهر الجديد ومن هنا فان الدولة الاسلامية قد اوكلت رؤية الهلال الى مجموعة من الناس وعلى رأسهم القاضي وفي مصر وكما اسلفنا عن دور القاضي في هذا الجانب فان العراقيين كان لهم الدور البارز عندما اوكلت الدولة الاسلامية مهمة مراقبة الهلال الى القضاء ، وفي ولاية تكين على مصر ترى الناس في رؤية الهلال وكان القاضي في ذلك الوقت هو ابراهيم بن عبد الله بن الكريزي^(٤٤)، وخرج القاضي على العادة لرؤية الهلال فرجعوا فأرسل تكين امير مصر الى الكريزي يسأله عن رؤية الهلال فقال (ايش صح عندكم من الشهر يعني رمضان فأجابه القاضي ان الذي صح عندي ان غدا لا من شعبان ولا من رمضان فقال تكين الله المعان يصرف ابو عبيد بمثل هذا)^(٤٥) ، وبهذا الذي رأينا من ابي عبيد فانا قد رجعنا الى سيرة هذا القاضي فتبين انه لم يكن من اهل العلم فصدر منه هذا القول الذي لم يصدر من أي شخص له بصيرة في العلم والفقه ومن الادلة على ما نقول ما ذكره عنه ابو محمد بن زولاق : فقال لم يكن محمودا في ولايته^(٤٦)، وكذلك غلب على امره ابو علي احمد بن علي بن ابي الحسن^(٤٧)، وفي حقبة الفاطميين تغيرت الحياة السياسية لمصر واختلفت عما كانت عليه في العصور الاسلامية السابقة ومن هذه الجوانب التي شملها التغيير هي الحياة الاجتماعية، ومنها ما فعله الفاطميين في رؤية الهلال فعندما دخل الفاطميون الى مصر امر جوهر الصقلي القاضي ابي طاهر الذهلي على اعماله لكنه الزمه بالعمل بالقول اهل البيت والمذهب الاسماعيلي في عدة مسائل ومنها رؤية الهلال^(٤٨)، حيث كان العمل الذي جرت بع العادة يقوم القاضي برؤية الهلال حيث يراقب هلال رجب وشعبان ورمضان كل سنة بسطح الجامع فابطل ذلك

وصار الهلال بالعدد شهرا ين يوما وشهرا ١ وعشرين وفي الصيام وفي الفطر وغير ذلك^(٤٩)، وعلى ذلك جرى العمل في الدولة الفاطمية .

الطعام والشراب:- تشكل الاطعمة جزءا مهما من حياة المجتمع المصري فهي تعبر عن طبائعه في المأكل والمشرب ،وهناك من الاطعمة ما كان متشابها في البلدان الاسلامية وحتة في مصر فان الاطعمة والاشربة بقيت متشابهة الا في بعض التغيرات التي طرأت عليها في بعض العصور الاسلامية ومن خلال البحث في سيرة القضاة العراقيين في مصر فانا وجدنا مواقف لبعض القضاة في هذا الجانب ،ومنهم القاضي اسماعيل بن اليسع ويتضح لنا ذلك من خلال ما كان يضمرون له العداوة وقد تحينوا الفرصة السانحة للتخلص منه وقد لجأ الى الطعام ومن هؤلاء الذين تأمروا عليه هو عسامة بن عمرو^(٥٠)،والذي تبين لنا انه دبر له هذه المؤامرة من خلال دعوته الى بيته واطعامه السمك^(٥١)، ثم ادخل الى الحمام فمرض فكتب الى الخليفة بشأن عزله^(٥٢)، ومن خلال الرواية السابقة يجب ان نبين انه هل تم وضع شئ في السمك ادى الى تسمم القاضي ام غير ذلك ، اما القاضي بكار بن قتيبة رحمه الله فانا ومن خلال البحث فقد وجدنا لهذا القاضي مواقف تتصل بهذا الجانب ، ومنها ما حدث له مع صاحب البصرة وذكر لنا ذلك أبو حاتم ابن أخي بكار قال : قدم على بكار رجل، من أهل البصرة، ذكر أنه كان رفيقه في المكتب، فأكرمه جدا، ثم احتاج إلى شهادة فشهد مع رجل مصري عند بكار، فتوقف عن الحكم، فظن أهل مصر أنه لأجل المصري، فسئل في خلوة عن ذلك، فقال: المصري على عدالته ولكن السبب البصري، وذكر منه أمرا رآه منه في الصغر، قال: لا تطيب نفسي إذا ذكرت ذلك أن أقبل شهادته، وذكر أنه أكل معه أرزا في سمن وعسل فنقد العسل الذي من ناحية بكار، ففتح من جهة صاحبه حتى جرى العسل، فقال له {خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا}^(٥٣)، فقال له بكار: أتَهزأ بالقرآن في مثل هذا، فبقيت في نفسه عليه^(٥٤)، ومن هذه الرواية نجد ان الاطعمة التي كانت تقدم الى الضيف كانت متنوعة وكان المصريين يهتمون بالضيف حتى انهم يقدمون له اغلى ما عندهم من طعام ، اما القاضي علي بن الحسين بن الحرب فقد ذكر لنا ابن زولاق حدثا مهما له في هذا الجانب وهو ما ذكره قال ابن

زولاق: (وكان يشتري له اللحم من جزار يعطيه الثمن سلماً^(٥٥))، ثم يأخذ منه في كل يوم برقعة بخرطه وأقام بمصر نحو عشرين سنة ما رئي يأكل ولا يغسل يده ولا يتوضأ^(٥٦).

قال ابن الحداد: (وسألت عن ذلك أهل منزله، فقالوا: كان له كم عليه ر فيوضع فيه ما يأكل وما يشرب، فإذا فرغ يأكل، نقر المائدة بإصبعه، فيدخل الغلام فيرفع المائدة ويأتيه بالطشت، ويخرج فيغسل يده، ثم ينقر الطشت فيدخل الغلام، فيحمل الطشت، وكذا يصنع في الوضوء)^(٥٧)، وكذا للقاضي محمد بن عبد الرحمن موقفاً في هذا المجال ويحمي أن فقيهاً من جيرانه كان يؤم ببعض المساجد نيابة عن صاحب ذلك المسجد بين درهماً في كل شهر، وأنه أقام سنة وصاحب المسجد لا يسمع له بشيء، ففقر عيد الفطر واحتاج إلى توسعة، فطالب ناظر المسجد فسوف به، فتوسل إلى القاضي جلال الدين بعض جيرانه أن يرسل إلى الناظر يأمره بصرف معلومه، فأخذ التاجر وتوجه به إلى منزل القاضي فصلى معه المغرب، وذلك في أواخر شهر رمضان وهو بمنزله بجزيرة الفيل، فمد السماط فكان شيئاً فآخرها جداً، ولم يحجب عنه أحد، ثم صلى معه العشاء والتراويح، ثم أتى بالحلوى وهي أنواع كثيرة بديعة، فيها الكنافة متبلة بدهن الفق والقطر النبات، ثم أمره بالنوم عنده فعند السحر أعيدت تلك المأكّل كلها وما هو فوقها^(٥٨)

الخاتمة

نستنتج مما سبق :

١. على الرغم مما كتب في الحياة الاجتماعية في مصر إلا أننا حاولنا إضافة مادة جديدة وهي التعريف بدور القضاة.
٢. حاولنا في هذه الدراسة إعطاء صورة واضحة عن الأثر الذي تركه القضاة العراقيين في مجال الحياة الاجتماعية.
٣. أدخل القضاة العراقيين الكثير من المفاهيم التي تعلموها في العراق والتي كانت غريبة على المجتمع المصري.
٤. مثلت هذه الطبقة الاجتماعية أي القضاة دوراً بارزاً في في تسيير الحياة الاجتماعية في المجتمع المصري.

٥. حافظ المسلمون المصريين أعيادهم وعاداتهم واعرافهم الاجتماعية كالأعياد الدينية عيد الفطر والاضحى.

Abstract

The Contributions of Iraqi Judges on the Social Life in Egypt Through the Book Rafa'a Alousir ain Quthat Masir (Raising the Heads of the Judges of Egypt) for Ibn Hajar Al-Askalani
(A research drawn from Ph.D. dissertation)

Hussam Qasim Mohammed
General Directorate of the Education\ Diyala
Prof. Ahmed Mattar Al-Obaide
University of Diyala
College of Education for Humanities

The study about Egypt has attracted the attention of Scholars and Researchers in particular, especially in the study of the social life. It is one of the topics that ancient and modern Scholars have given great importance. Many books have appeared about this study. Among these books was the Book Rafa'a Alousir ain Quthat Masir (Raising the Heads of the Judges of Egypt) that dealt the Judges in Egypt. In this study the researchers discussed the impact of these Judges in Egypt on the social domain, besides dealing with other aspects related to the public life in Egypt.

الهوامش

- (١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج١ ص١٦٠ .
(٢) المقرئزي ، المواعظ والاعتبار ، ج١ ص٨٨ .
(٣) المقرئزي ، المواعظ والاعتبار ، ج١ ص٨٨ .
(٤) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، (ت هـ) ، الأحكام السلطانية ، دار الحديث (القاهرة ، مصر) ، ص .
(٥) ومنهم من مات في مصر وعلى سبيل المثال أحمد بن عبد الله بن إسحاق الحريري توفي بمصر في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائة ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ، (ت هـ) ، رفع الإصر عن قضاة مصر عن قضاة مصر عن قضاة مصر تحقيق ، الدكتور علي محمد عمر ، ط ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة هـ ، م) ، ص ٥٥ .
(٦) ناصر خسرو ، ناصر خسرو علوي ، ترجمة ، د. يحيى الخشاب ، ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، مصر -) ، ص ٩٢ .

(٧) المقريري، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر المواعظ والاعتبار والآثار ، ط، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان هـ) ، ج٣ ص٣٤٣.

(٨) الطراونة ، مبارك محمد ، الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة ، المكتبة الوطنية (عمان ، الاردن م) ، ص ٢٤٥.

(٩) إسماعيل بن اليسع بن الربيع أخذ القاضي إسماعيل بن اليسع بن الربيع عن أبي حنيفة ، وسمع من محمد بن عمرو بن علقمة وغيره الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري (ت بعد ٣٥٥هـ) ، كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي ، تحقيق ، محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، وأحمد فريد المزدي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية، (بيروت - لبنان ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) ، ج٣ ص٣٣٦.

(١٠) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٨٨.

(١١) ، ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٠٢.

(١٢) بكار بن قتيبة بن عبد الله بن أبي بردة تبنى القاضي بكار بن قتيبة بن عبد الله رحمه الله بأبي بكرة حاجي خليفة ، سلم الوصول إلى طبقات الفحول ، ج ١ ص ٣٨٢.

(١٣) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر عن قضاة مصر عن قضاة مصر ، ص .

(١٤) لم نجد له تعريف في المصادر التاريخية .

(١٥) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٠٢.

(١٦) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٨٢.

(١٧) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٨٢.

(١٨) حمادة، ابراهيم ، خيال الظل وتمثليات ابن دانيال ، تحقيق ابراهيم حمادة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة ، مصر م) ، ص ١٦١.

(١٩) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٨٢.

(٢٠) تم تعريف في الفصل الثاني.

(٢١) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص .

(٢٢) يرجع في ذلك الى كتاب ابي المعالي برهان الدين ابن مازة البخاري الحنفي في كتابه المحيط

البرهاني في الفقه النعماني .

(٢٣) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٣٨١.

(٢٤) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١١٠.

- (٢٥) القاضي احمد بن عبد الرحيم بن حماد البصري احد العلماء الذين تم توليتهم القضاء في مصر ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٣٩.
- (٢٦) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٣٩.
- (٢٧) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٣٩.
- (٢٨) السرخسي ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت هـ) المبسوط ، دار المعرفة (بيروت هـ - م) ، ج ٣٠ ص ٢٠.
- (٢٩) احد القادة الكبار والذين كان لهم دورا بارزا في الدولة الاخشيدية ، ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٧٠.
- (٣٠) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٧٠.
- (٣١) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ١٧٠.
- (٣٢) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً، صنف كتباً كثيرة منها؛ كتاب يتيمة الدهر، وسحر البلاغة، وكتاب فرائد القلائد، وكتاب سر الأدب؛ إلى غير ذلك من الكتب، وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي وحكى أنه قال: المخلاف لليمن، كالسواد للعراق، والراق لخراسان. الأتباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين (ت هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق، إبراهيم السامرائي، ط مكتبة المنار، (الزرقاء - الأردن ، هـ - م)، ص ٢٦٦.
- (٣٣) الثعالبي، كتاب خاص الخاص، ط، مطبعة السعادة، (القاهرة هـ)، ص ٤٩.
- (٣٤) العقاد ، محمود عباس محمود العقاد، اثر العرب والاسلام في الحضارة الاوربية ، شركة كلمات للترجمة والنشر، (القاهرة ، مصر) ، ص ٤١٧.
- (٣٥) جاون فييت ، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة الدكتور مصطفى العبادي، مؤسسة فرنكييلين للطباعة والنشر ، (بيروت ، لبنان م)، ٦٣.
- (٣٦) جاستون، القاهرة مدينة الفن والتجارة ص. ٦٣.
- (٣٧) جاستون، القاهرة مدينة الفن والتجارة ص ٦٣.
- (٣٨) جاستون، القاهرة مدينة الفن والتجارة ص ٦٣.

(٣٩) عمرو بن يسار بن عوف بن جراد بن يربوع بن طحيل بن عدي بن الربعة بن رشدان ، ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٥ ص١٣٤.

(٤٠) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص٤١٦.

(٤١) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص٤١٦.

(٤٢) الشيباني ، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد ،(ت هـ) الأصل المعروف بالمبسوط ، تحقيق، أبو الوفا الأفغاني إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي، ج٣ ص١٥٥.

(٤٣) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص٣٢٨

(٤٤) احد القضاة الذين تم توليتهم القضاء في مصر ، ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص٣٤.

(٤٥) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص٣٤.

(٤٦) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص٣٤.

(٤٧) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص٣٤.

(٤٨) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص٣٢٨.

(٤٩) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص٣٢٨.

(٥٠) عسامة بن عمرو بن علقمة بن معلوم بن حيويل بن الأوس بن دحية المعافى: أمير مصر. يكنى أبا الداجن. مات سنة وبن ومائة ، ابن يونس ، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، أبو سعيد (ت هـ) تاريخ ابن يونس المصري ، ط ، دار الكتب العلمية، (بيروت ، لبنان هـ) ، ج١ ص٣٤٢.

(٥١) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص٨٨.

(٥٢) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ، ص٨٨.

(٥٣) الآية من سورة الكهف: ٧١

(٥٤) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ، ص٨٨.

(٥٥) السلم صنف من البيع وينعقد بجميع ألفاظ البيع وينعقد بلفظ السلم ويثبت فيه خيار المجلس ولا يثبت فيه خيار الشرط ومن شرطه أن يسلم رأس المال في المجلس ، الشيرازي ،أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن

يوسف ، التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر ،هـ ، م ،ص .

(^{٥٦}) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٩٧.

(^{٥٧}) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٢٨٦.

(^{٥٨}) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٢٨٦.

المصادر والمراجع

- i. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ) ،أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق، علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود ، ط١، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، لبنان ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م).
- ii. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) كتاب خاص الخاص، ط١، مطبعة السعادة ،(القاهرة ١٣٢٦ هـ) .
- iii. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ، (ت ٨٥٢هـ) ، رفع الإصر عن قضاة مصر عن قضاة مصر عن قضاة مصر عن قضاة مصر تحقيق، الدكتور علي محمد عمر، ط ١، مكتبة الخانجي، (القاهرة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .
- iv. السرخسي ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت ٤٨٣هـ) المبسوط ، دار المعرفة (بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
- v. الشيباني ، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد ،(ت ١٨٩هـ) الأصل المعروف بالمبسوط ، تحقيق، أبو الوفا الأفغاني إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي.
- vi. الشيرازي ،أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف ، التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،(مصر ،١٣٧٠هـ ، ١٩٥١م).
- vii. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ) ، الأحكام السلطانية ، دار الحديث (القاهرة ،مصر) .

- viii. **المقريزي**، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت ٨٤٥هـ) ، المواعظ والاعتبار بذكر المواعظ والاعتبار والآثار ، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان ١٤١٨ هـ) .
- ix. **الأنباري** ،عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين (ت ٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق، إبراهيم السامرائي، ط ٣ مكتبة المنار، (الزرقاء ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- x. **ابن يونس** ، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، أبو سعيد (ت ٣٤٧هـ) تاريخ ابن يونس المصري ، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٤٢١ هـ)، ج١ ص٣٤٢ .
- xi. **ناصر خسرو**، ناصر خسرو علوي، ترجمة، د. يحيى الخشاب، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٩٣) .
- xii. **جاستون فييت**، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة الدكتور مصطفى العبادي، مؤسسة فرنكيلين للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٦٨م)، ص٦٣ .
- xiii. **حمادة، ابراهيم** ، خيال الظل وتمثليات ابن دانيال ، تحقيق ابراهيم حمادة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة ، ١٩٦١م) .
- xiv. **الطراونة** ، مبارك محمد ، الحياة الاجتماعية في مصر وبلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة ، المكتبة الوطنية (عمان ، ٢٠١٠م) .
- xv. **العقاد** ، محمود عباس محمود العقاد، اثر العرب والاسلام في الحضارة الاوربية ، شركة كلمات للترجمة والنشر، (القاهرة ، مصر) .